سلسلة دروس

(تعلم محكمات الإسلام من خلال تفسير سورة يونس)

✍ حسين عبد الرازق

عناصر الحلقة الأولى:

- مقدمات.
- هداية الإنسان.
- ملخص وسائل المعرفة.
- الوحي.
- الرسل.
- رسالتهم واحدة ودينهم واحد.
- بعثة النبي محمد ورسالته (الإسلام).
- القرآن الكريم ومقاصده والتمسك به وطلب الهدى منه وفضل تعلمه.
- أثر تعلم الإيمان ومُحكماته على العبد.
- عناية البيت المسلم بالقرآن وفضل الاجتماع على القرآن.
- معنى محكمات الإسلام وقيمة العلم بها ونشرها وتعليمها والدعوة إليها.
- لماذا تعلمُ الإيمان من القرآن.
- لماذا سورة يونس.
- السور المكيّة ومنها سورة يونس (المقاصد والموضوعات).
- طريقة مدارستنا للسورة والانتفاع منها.

(١) ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾

تخيل أن شخصا كان نائما في الصحراء استيقظ من نومه فوجد مائدة عليها صنوف الطعام المطبوخ بمهارة

- ألَا يهتم قبل أن يأكل بأن يعرف: من أين أتى هذا الطعام وكيف أتى ولماذا أتى؟

- ولو شُغل لفترة بالأكل والاستمتاع به ألا ينتبه ويعود للتفكير بعد مدة في نفس الأسئلة؟

وإذا جاءه من يُذكره ويُبين له ألا يتذكر؟

- خُلق الإنسان فوجد عالما أرضا وسماء وشمسا وقمرا وليلا ونهارا وجبالا وبحارا وأنهارا وسُحبا وإبلا وماشية ...ووجد نفسه بما فيها من آيات سمعٍ وأبصارٍ وفؤادٍ ويدين ورجلين ولسان وشفتين وغير ذلك من آيات وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون

فكان يجب أن يتفكر، وينظر من خلق هذا ليشكره ويحمده ويعلم أنه حي عليم قدير قوي حكيم لم يخلقه باطلا

وقد علّم الله عباده حمده ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾

فقبل أن يؤمر العبد بالعبادة خُلق في عالم كله آيات وبينات دالّة على أن له خالقا قادرا مدبرا عليما حكيما

لم يشهد خلق السموات والأرض ولا خلق نفسه ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾

فبعث إليه رسولا بآيات يخبره عن بدء خلقه والغايةِ منه وما تزكو به نفسه، ويميّز به بين الحق والباطل والخير والشر، وتطيب به حياته

فكان يجب أن يشكر ربه ويطيع رسله ويتبع هديَهم ويعمل لآخرته، وهؤلاء هم خيرُ الناس

المبدأ والغاية والوسيلة والمصيرُ والجزاء

مِن أين أتيْتُ؟

وهل لوجودنا غاية وحِكمةٌ؟

وكيف أعيشُ لأُحقق تلك الغاية؟

وما مصيرُ مَن حققها ومن لم يُحققها؟

هذه هي الأسئلة الكبرى

وكلُّها مترتبة على الأول

فمن آمن بأنّه -وكُلّ ما في الكون-مخلوقٌ لخالقٍ

وهذا الوجودُ بما فيه من الإبداع= لابد أن يعلم أنّ خالقه واحدٌ خالق قادر عالمٌ حكيمٌ غني، وأنه كمخلوقٍ فقيرٌ مُحتاج جاهلٌ بما ينفعه ويضره يحتاج إلى هداية وإرشاد

وجد الإنسان عالما وكونا فلابد أن يعرف أن وراءه قوة خلقت ودبّرت (لكن معرفة أن اسمه الله —الرب-) بتعليم الرسل لهم / المسمّى يدرك بالعقل لكن الاسم لا يدرك بالعقل هل تعلم له سميا:

والذي خلقه لم يخلقه عبثا ولن يتركه سُدًى

لابد أن يهديه /يرشده للغاية من خلقه وكيف يُحققها

كيف؟

يأتيه شخصٌ يقول: أنا رسول من الله؟

ولابد أن يكون معه آياتٌ تشهد له بصدقه.

ووحيٌ من الإله يهتدي به الرسولُ ويهدي به ويُرشِد

فإنْ صدّقه= فعن طريقه يعلمُ تفاصيل كل تلك الأسئلة وما يتفرعُ عنها

ويعلم كيف يقوم بتلك الغاية ويعرف الحق والباطل والخير والشر

ويعرف مصير من أطاع ومن عصى.. وغير ذلك من الجُمل والتفاصيل

إذن:

خالقٌ غنيٌ إلهٌ عليم حكيم قديرٌ

ومخلوقٌ فقيرٌ ضالٌّ

وهدًى من الإله للمخلوق عن طريق الوحي المنزّل على بعض خلقِه المصطفَين /الرُسل

وكلُّ ذلك ذكره العبدُ الصالحُ المجاهدُ الذي جاء من أقصى المدينة ﴿يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

وقال الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

- ✓ كيف أتيتُ إلى الدنيا؟
- ✓ ولماذا؟
- ✓ وما هي وسائل المعرفة التي أميّز بها الخير من الشر والحقَ من الباطل؟
- ✓ وماذا بعد الموت؟

إن أعظمَ ما يُوفّقُ له أنسانٌ في حياته: أن يعرف الجواب عن تلك الأسئلةِ، ويعمل بها ولها، فإنه يسعد ويطمئن قلبُه وتطيبُ حياتُه بقدر علمه وسعيه لذلك.

على ذلك الأساس العام العام فُطر الخلق:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

روى البخاريّ بسنده عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ الآيَةَ».

وروى مسلم بسنده عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ فيما يرويه عن الله . تبارك وتعالى . قال :
«إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا» ، **والحنف**: هو الميل عن الضّلال إلى الاستقامة ؛ **يقال**: تحنّف فلان؛ أي تحرّى طريق الاستقامة.

فعلى هذا فُطر العبادُ

والضلالُ يحصل للإنسان بتغيير فطرته؛ ولها صورٌ :

- ✓ ألا يتفكّر أصلا في خلقه ولا في الحكمة منه، ولا ينظر ولا يعتبر
- ✓ أو ظنُه أنه خُلق بغير رب
- ✓ أو ظنِه أنه مخلوق بلا حكمة، وأن خالقُه خلَقَه عبثا أو لهو أو لعبا، وتركه سدى
- ✓ أو أن خالقه تركه بلا هدى ولا كتاب
- ✓ أو في إنكار البعث والحساب والجزاء
- ✓ أو أن يعبد غيرَ خالقه، أو يُشرك في عبادته
- ✓ أو يعرف الحق فيجحدُه، ويترك اتباعه حسدا أو كبرا أو حُبًا للدنيا

وقد أبطل الله تعالى ذلك كله كما في قوله ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾

وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾

وعن الذين أقروا بالخالق وكذبوا الوحي أو ادّعوا النبوة كذبا أو زعموا أنهم يأتون بالوحي من أنفسهم : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾

أما من علِم ذلك فتركه واتبع هواه فقد ذكره الله في مثل قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ

يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

ولو بلغ إنسانٌ من متاع الدنيا ما بلغ وعنده واحدٌ من تلك الظنون فهو من شر البرية، عند الله وهو كالأنعام يتمتع ويأكل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ولم يبق له وزن عند الله تعالى ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ إذْ جهل أو غفل عن أعظم مطلوب، وجحد نعمة الله وكفر بها.

وقال تعالى: ﴿ قُتل الإنسانُ ما أكفره﴾

لذلك كان أعظم ما يميز المؤمن التفكر في خلق السموات والأرض والعلم بأن لها خالقا يحمد ويشكر ويتمس الهدى منه و إيمانُه بالله وحكمتِه وخلقِه وأمرِه ورسله ووحيه وجزائه والسعيُ في طلب ذلك فهؤلاء عند الله هم خير البرية ولا يستون أبدا بأولئك المجرمين ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ﴾

قال الله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(٢) المعرفة والهداية ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾.

ولأجل أن يكون العبدُ قائما لله تعالى بما خُلق له وهو عبادته والقيام في الدنيا بالقسط فقد جعل الله تعالى للعبد سبلا بها يعرف الخير من الشر، ويصل بها إلى المعرفة والهدى ليقوم منها:

- **الفطرة:**

فإن الله تعالى فطر عباده على العلم به والاستسلام له والافتقار إليه قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وهذه الفطرة ميزان يزن به الإنسان أفعالَه وغيرها، ويشعر بحُكمها، فإن فَعَلَ ما يوافق فطرتَه مثل: (الصدق، مساعدة المحتاج، إكرام الضيف، ونحو ذلك) شعر براحة وفرح، وإن فعل ما لا يوافق فطرته مثل: (الظلم، والكذب والسرقة، ونحو ذلك) شعر بألم وحزن، وهو معنى قول النبي ﷺ: «وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ».

لكن تلك الفطرة وإن كانت من سبل المعرفة فالمعرفةُ بها مُجملة ليست تامة ولا شاملة وهي قابلة للتَّغير والتَّأثُر قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ».

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»، وقال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾

إذًا فالفطرةُ قابلة للتغيّر، وكذلك فالمعرفة بها ليست تامةً شاملةً، فلا يزالُ الإنسان بحاجة إلى مزيد من سبل العلم.

- **ومن سبل العلم** :[السمع والأبصار والافئدة].

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وذكر أقوامًا لم ينتفعوا بهذه النعم محُذِّرًا من فعلهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، وقال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وإن كانت تلك الوسائل للإدراك فإنها تابعة للقلب وهو ملكُها:

فالقلب:

هو آلة العقل والتفكر والتدبر والتفقه، العقلُ من أشرف أعمال القلب، وهو عملٌ يقوم به القلبُ، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

فالقلبُ: من أعظم نعم الله تعالى، وهو مُمَتَحَنٌ كذلك، وهو أداةٌ يُعزى إليها معاني في المعرفة والعمل

فالقلبُ هو الذي يفقهُ ويعقلُ ويتدبّرُ ويُمتحَنُ وهو محل النظر والتفكر، والإيمان والكفر، والهداية والضلال، والصدق والكذب، والتصديق والتكذيب، والعمى والمرض والشفاء، والثبات والتقلُّب، والخَتْم، والزَّيغ، والامتحان، وكذلك الكسبُ والتعمُّد، والإثم، والتطهيرُ، و المعرفةُ والإنكار، وكذلك الحبِ والتآلُف، والبغض، والرضا والإباء، واللِّين والقسوة، والتوكل والرجاء والخوف والرُّعب، الفرحِ والحزن والسلامة والاطمئنان، والغيظ وغير ذلك.

وكلُ ذلك له أدلتُه من كتاب الله تعالى لا نُريد التطويل بذكرها

ومن الألفاظ التي جاءت في الوحي يُعزى إليها بعضُ تلك المعاني: لفظ الفؤاد، والألباب، والأحلام والنُّهى، والحِجر، والصدر

وباختصار فالقلبُ: مَجمع الخير أو الشر في الإنسان وهي الباعث والمحرّك، وهي الأصلُ، لم يجعل الله تعالى لأحد من الخلق سلطانا على قلوب العباد ولا يُمكن إكراهُ أحد على ما في قلبه

ومن معاني قوله تعالى: ﴿لا إكراه فى الدين﴾ **أنه نفيٌ ونهي**:

- ✓ نفي للإمكان بمعنى: لن تستطيع إكراه أحد على الإيمان لأن محله القلب ولا سلطان لك عليه،
- ✓ ونهي عن الإكراه المستطاع وهو إكراه الجوارح واللسان

ولذلك قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

لأن الإكراه غيرُ ممكن على القلب، وهذا من حكمة الله ورحمته.

ولذلك فهو موضع نظر الله تعالى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

والعقلُ ذُكر على أنه وظيفة من وظائف القلب في المعرفة واتباعِها أعني: العملَ بموجِبها

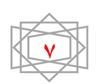
وبكلمةٍ فإن القلب هو الأساسُ، وبصلاحه يصلح سائر العمل، وهو محل الإيمان

ولقد جاء الحديث عن القلب ومكانته وأعماله وصفاته وأحواله وأسباب قوته وصحته وهدايته وأسباب ضلاله ومرضه وموته وعلاجه

لكن العقل الذي هو من أعمال القلب كأي وسيلة للمعرفة مثل البصر، والسمع، ونحوها له مجالٌ محدودٌ لا يتعداه، فالعينُ مثلاً ليس من مجالها المسموعات ولا عملُها إدراك الصوت، ولكنْ مجالُها المرئيات، فالعقلُ كذلك ليس من مجاله الغيبيات في الماضي والمستقبل ونحو ذلك مما لا يدركه العقل، فإنْ أعمل الإنسان عقله في غير موضعه تخبّط وتحيّر وضلَّ كما حصل لكثير من المفكرين والفلاسفة وانتهى بهم إلى الإلحاد.

والعينُ مهما كانت قويةَ الإبصار فإنها عند بُعد معين لا ترى، فكذلك العقل له مجال محدود.

وكذلك فالعقل قد يخطأ الظن



وكذلك فالعقل قد يرى الخير شرًا والشر خيرًا كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

وكذلك فالعقول متفاوته في الذكاء والقدرة على المعرفة، وكذلك فهي تختلف كثيرًا؛ هذا يستحسن ما يستقبحهُ الآخر، ويرى الخير المحضَ في شيء يراه الآخر شرًا خالصًا، فلأجل ذلك كله (مجال العقل محدود، وقد يخطأ، والعقول متفاوته في القدرة على المعرفة، وتختلف كثيرًا) فلو تُرك الحكم للعقل وحده لحصل شرٌ عظيم كما في قوله: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾، فيبقى الإنسان بين ظنٍ في الأخبار واتباع للأهواء في تصرفاته؛ لذلك جعل الله تمام الاهتداء بالوحي فهو الهدى والنور قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

(٣) ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾

أمر الله تعالى باتباع الوحي المنزّل منه، وبيّن أن صلاح الإنسان على الأرض لا يتم دونه، وبيّن عاقبة المتبع وعاقبة المعرض، في الدنيا والآخرة قال الله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾

وأمر سبحانه أن يكون المَرَدُّ إلى حُكمه عند التنازع والاختلاف ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وأذكى الناس عقولًا وأزكاهم نفوسًا وأحسنهم قصدًا هم رسلُ الله عليهم السلام ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]،

ومع هذا فاهتداؤهم بفضل من الله، وبوحي من الله قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧]، وقال يوسف عليه السلام عنه وعن آباءه: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ [يوسف: ٣٨]، وقال الله للنبي محمد ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، قال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وكان ﷺيرتجز ويقول: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا» ، بل أمر الله نبيه ﷺ أن يبين ذلك للناس: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ: ٥٠]، وإنما فُضّل الأنبياء بالوحي ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

(٤) ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ﴾

أرسل الله تعالى الرسل عليهم السلام وأوحى إليهم بما يهتدون به ويهدون الناس به قال النبي ﷺ: «وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ».

وبعثةُ الرسل ومقاصدُ الوحي: تذكيرُ من نسي، وتنبيه من غفل، وإقامةُ الحجة على من جحد وإنذار المعرضين، وتبصير المؤمنين، وتبشيرهم، والبيان، والبلاغ، والتعليم، وبيان تفاصيل الإيمان والعمل وإقامة البراهين وللحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه بما أُوحِي إليهم من الله

فالوحيُ:

- ✓ موعظةٌ للقلوب،
- ✓ وشفاء لما في الصدور من أمراضها (الشهوات والشبهات)
- ✓ وبه اليقين الذي يطمئن به القلب ويزيح عنه الشبهات
- ✓ وبه التقوى التي تُنهى بها الأنفس عن الهوى
- ✓ لتطيب حياة العبد وليقوم الناس بالقسط

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ﴾

﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ **أي**: وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذر، كما قال تعالى: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ [الرعد : ٧] ، وكما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

(٥) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعبُدُونِ ﴾

ودعوة الأنبياء والمرسلين واحدة ودينهم جميعا الإسلام وهو: أن يكون الدينُ كله لله تعالى، وأن يُعبَد اللهُ بما شرعه ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾.

قال الله تعالى عن دعوة نوح عليه السلام: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾.

وقال سبحانه وتعالى عن دعوة هود عليه السلام: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾.

وقال تعالى عن دعوة صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾.

وقال تعالى عن دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۝ إِنَّمَا تَعْبُدُون مِن دُونِ اللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُواْ عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدوهُ واشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

وقال تعالى عن دعوة شعيب عليه السلام: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾.

وقال سبحانه وتعالى عن دعوة عيسى عليه السلام: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾.

عن الرسول ﷺقال: «أنا أَوْلَى الناسِ بِعِيسَى ابنِ مريمَ في الدنيا والآخرةِ، ليس بَيْنِي وبينَهُ نَبِيٌّ، والأنْبياءُ أوْلادُ عَلَّاتٍ؛ أُمَّهاتُهُمْ شَتَّى، ودِينُهُمْ واحِدٌ»

أولاد العَلات بفتح العين المهملة وتشديد اللام هم الإخوة لأب من أمهات شتى. قلت: أي الأنبياءُ أُخُوَّتهم هي في النبوة وليس في الدم، فأبوهم في النبوة هو واحد وهو آدم عليه السلام، ولذلك الرسول ﷺ هو أولى بعيسى عليه السلام لأنه لا يوجد أخٌ نبيٌ يفصل بينهما في بعثة النبوة تماماً كما يفصل الأخ الشقيق في الولادة بين من هو أكبر وأصغر منه من إخوته).

معنى الحديث أن إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف. قول الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

(٦) ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾

الإسلام لله تعالى الذي هو عبادتُه وحده بما شرعَ هو الدين الحق الذي لا يقبل دينا سواه قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

ودين الأنبياء هو الإسلام:

- قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾(يونس : ٧٢)،
- وقال تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (البقرة : ١٣٠ – ١٣٢) ،
- وقال تعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿ رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين﴾ (يوسف : ١٠١).
- وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ (يونس : ٨٤ – ٨٦).
- وقال تعالى : ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله﴾ (المائدة : ٤٤).
- وقال تعالى: وقالت بلقيس ﴿وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين﴾، ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ (المائدة : ١١١)، ولكنها مختلفة في بعض التشريعات الفرعية حكمةً من الله لاختصاصها بأقوامٍ وأزمانٍ معينةٍ وابتلاء لعباده ليتبين المطيع من العاص.

أراد بهذا أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملةٍ شريعةٌ، **ومعنى الكلام:** لكل قوم منكم جعلنا طريقًا إلى الحق يؤمُّه، وسبيلاً واضحًا يعمل به.

(٧) ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾

فهذا وصف له، ﷺ، بأنه ختم الأنبياء، فلا نبي بعده، وفي حديث رسول الله، ﷺ، في صحيح البخاري، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي، ﷺ، قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» .

ورسالتُه عامة للناس كافة قال الله للنبي ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨].

يقول الإمام الطبري في تفسيره: "قل يا محمد للناس كلهم إني رسول الله إليكم جميعاً لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض"

وتأكيداً لهذا المعنى فقد امتلأ كتاب الله تعالى بآيات كثيرة تبين للناس أن صاحب الرسالة الخاتمة، ﷺ، رسالته عامة للبشر جميعاً يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ :٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

ولأن الله سبحانه وتعالى جعل الإسلام الدين الخاتم، ورسوله الرسول الخاتم، لذا فقد كمل الدين بالنبوة الخاتمة التي لا نبوة بعدها، يقول تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا [المائدة:٣].

وقال ابن كثير رحمه الله في قَوْل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا دِينَ عِنْدَهُ يَقْبَلُهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَى الْإِسْلَامِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا بَعَثَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ، حَتَّى خُتِمُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي سَدَّ جَمِيعَ الطُّرُقِ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ بَعْدَ بِعْثَتِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِينٍ عَلَى غَيْرِ شَرِيعَتِهِ، فَلَيْسَ بِمُتَقَبَّلٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُخْبِرًا بِانْحِصَارِ الدِّينِ الْمُتَقَبَّلِ عِنْدَهُ فِي الْإِسْلَامِ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾.

وخلاصة رسالته ﷺ في مثل قول الله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

(٨) ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾
﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

الكتاب المنزّل على رسول الله ﷺهو القرآن الكريم، وهو أعظم آياته رسول الله، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطِيَ ما مِثلُه آمَن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة» متفق عليه.

فقد أنزل الله تعالى على نبيه محمدٍ هدى ونورا وبرهانا وحُجة ورحمة وشفاء وتبصرة وفرقان وتذكرة وموعظة

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

وأمر سبحانه بالإيمان بالقرآن، كما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾.

وأمر بتلاوته وتدبره والتذكُّر به، قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وأمر باتباعه والعمل به، كما قال سبحانه: قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾

وأثنى على أهله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

ونهى سبحانه عن الإعراض عنه وتوعد فقال: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾.

وفي السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ في الأمر بتعلُّم القرآن والحثّ على حمله وحفظه والتمسّك به ما هو على الوفاق لما جاء به كتاب الله تعالى.

فعَنْ عُثْمَانَ بن عفان ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ (وفي لفظ: إن أفضلكم) مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» أخرجه البخاري.

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ؟))، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: ((أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيُعَلِّمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» أخرجه مسلم.

فصاحبُ القرآن الذي يعملُ به هو القائم به ليله بالصلاة به وتدبره بالتفكر في معانيه، ونهاره بامتثال أحكامه وشرائعه، فهذا يتمنى من لم يُحصِّل مثل تحصيله أن لو كان له مثل ذلك.

كما يفسره حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا، فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ فِيهِ هَذَا، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا، فَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ» أخرجه البخاري.

ولقد حثّ على حفظ القرآن إلى جنب الاعتناء بفقهه والعمل به، وبيّن أن الإنسان يبلغ بذلك المنازل عند الله تعالى بمقدار ما حمل من القرآن في الدنيا وتيسر بلسانه من قراءته.

عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ» متفق عليه.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُقَالُ – يَعْنِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ –: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا» أخرجه الترمذي وقال: ((هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)).

فضل القرآن وبركته على البيت المسلم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

قال بعض المفسرين: هي كلُ بيت يتلى فيه القرآن ويُذكر فيه الله وروى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (مسلم، حديث ٢٧٠٠). **فهذا عام ليس خاصا بالمسجد.**

روى الشيخانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ))، قَالَ: ((فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا))، قَالَ: ((فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ))، قَالَ: ((فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟))، قَالَ: ((فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ، مَا رَأَوْكَ؟))، قَالَ: ((فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا))، قَالَ: ((يَقُولُ: فَمَا

يَسْأَلُونِي؟))، قَالَ: ((يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ))، قَالَ: ((يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا))، قَالَ: ((يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً))، قَالَ: ((فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ))، قَالَ: ((يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا))، قَالَ: ((يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً))، قَالَ: ((فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ))، قَالَ: ((يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ؛ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ))، قَالَ: ((هُمُ الجُلَسَاءُ، لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»

(٩) ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ﴾

موضوعات القرآن:

- ✓ وفيه الإخبار عن الله وأسمائه وعلمه وحكمته ورحمته وقدره وشرعه وخلقه وأمره وبيان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر
- ✓ أخبار الأنبياء
- ✓ وذكر الإنسان وصفاته وأحواله
- ✓ خصال المؤمنين وخصال الكفار وخصال المنافقين
- ✓ وفيه قصص الأمم وسنن الله فيهم
- ✓ وفيه التشريع والأمر والنهي والأحكام
- ✓ وفيه الوعد والوعيد والثواب والعقاب
- ✓ والبعث والحساب والجزاء وذكر الجنة والنار

الاهتداء بالقرآن (التدبُّر والتذكُّر): ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يعني العلم به واتّباعُه

بيان القرآن:

- ✓ العلمُ باللسان الذي نزل به وهو: لسان العرب
- ✓ العلمُ بهدي النبي ﷺ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

قالت عائشة رضي الله عنها «كان خُلقُ النبي صلى الله عليه وسلم القرآنَ».

و الخُلُق هو الهَدْي والسُّنّة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ».

الهداية بالنبي ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ».

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

حديثٌ جامعٌ:

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، يَقُولُ: «جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: ((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

فيه: (بيانُ هديه، وأنه أحسنُ الهدي، وأنه صراطُ الله تعالى ومن رغبه عنه فليس منه).

(١٠) ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

قال ابن تيمية رحمه الله: (.. إن الله وصف القرآن كله بأنه مُحكم وبأنه متشابه. وفي موضع آخر جعل منه ما هو مُحكم ومنه ما هو متشابه. فينبغي أن يُعرف الإحكامُ والتشابهُ الذي يعمُّه، والإحكامُ والتشابهُ الذي يخص بعضَه. قال تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١]، فأخبر أنه أحكم آياته كلها. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، فأخبر أنه كله متشابه.

والحُكم هو الفصل بين الشيئين، والحاكم يفصل بين الخصمين، والحكمةُ فصل بين المشتبهات علماً وعملاً، إذا ميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والنافع والضار. وذلك يتضمن فعل النافع وترك الضار، فيقال: حَكمتُ السفيهَ، وأحكمته إذا أخذت على يديه، وحكمتُ الدابةَ وأحكمتُها إذا جعلت لها حَكَمَة، وهو ما أحاط الحنك من اللجام، **وإحكام الشيء إتقانه**. فإحكام الكلام: إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، وتمييز الرشد من الغي في أوامره.

والقرآن كله محكم بمعنى الإتقان، فقد سماه الله حكيماً بقوله: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١].

وأما التشابه الذي يعمه فهو ضد الاختلاف المنفي عنه في قوله: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وهو الاختلاف المذكور في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨-٩] فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه، بحيث يصدق بعضه بعضاً.

وهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام، بل هو مصدق له. فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضُه بعضَه، لا يناقض بعضه بعضاً. بخلاف الإحكام الخاص، فإنه ضد التشابه الخاص. **فالتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر**، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو أو هو مثله، وليس كذلك.

والإحكام هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر. وهذا التشابه إنما يكون لقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما.

ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما، فيكون مشتبهاً عليه، ومنهم من يهتدي إلى ذلك، فالتشابه الذي لا تمييز معه قد يكون من الأمور النسبية الإضافية. بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض. ومثل هذا يعرف منه أهل العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه، كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه في الدنيا فظن أنه مثله، فعلم العلماء أنه ليس هو مثله، وإن كان مشبهاً له من بعض الوجوه).

والخلاصة: أن (الإحكام) و(التشابه) المتعلقان بالقرآن أربعة أنواع:

١. الإحكام العام: بمعنى الإتقان والصدق في أخباره وأحكامه.
٢. التشابه العام: وهو تناسبه وتصديقُ بعضه بعضاً.

٣. التشابه الخاص: وهو مشابهة الشيء لغيره من وجه، ومخالفته له من وجه آخر.

٤. الإحكام الخاص: الفصل بين الشيئين المشتبهين من وجه، المختلفين من وجه آخر.

والمحكم الذي اتضح معناه وتبين، والمتشابه هو الذي يخفى معناه، فلا يعلمه الناس، وهذا إذا جمع بين المحكم والمتشابه، وأما إذا ذكر المحكم مفرداً دون المتشابه، فمعناه المتقن الذي ليس فيه خلل: لا كذب في أخباره، ولا جور في أحكامه، قال تعالى: وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً

قيمة العلم بمُحكمات الشريعة:

- المحكمات هي أُمُّ الكتاب وأصله وجوهره وخلاصتُه فالعلم بها والثبات عليها سبب عظيم في الثبات وإهمالها سبب للفتنة.
- العلم بالمحكمات وتعليمه هو قلبُ دعوة جميع وهو أول وأهم ما دَعوا الناس إليه المرسلين.

وهو مقدمةُ ما بعده من تفاصيل الإيمان وبيان الشرائع.

- محكمات الشريعة لها النصيب الأعظم في الوحي ذكرا ودعوة وتكرار واستدلا وفُرقانا ((فينبغي أن تكون أولى ما يُعتنى به علما وعملا ودعوة))
- العلم بالمحكمات هو القدر الثابت والوعاء الجامع لشعب الإيمان وأحكام الشريعة، وأخلاق الإسلام

وهو قلبُ الإسلام وجوهره وخلاصتُه.

- العلم بالمحكمات أساس في جمع كلمة المسلمين وتعاونهم على البر والتقوى
- العلم بالمحكمات هو أول وأهم ما ينبغي أن يَتعلَّمَه المسلمون ويُعلمونه وينشرونه في بيوتهم ومدارسهم ويُكثرون من الحديث عنه والتذكير به والعمل به والاجتماع عليه
- العلم بالمحكمات تثبيتٌ للمسلمين أطفالا ورجالا ونساء وشبابا وكبارا
- العلم بالمحكمات وقاية لهم من تشرُّب الشبهاتِ إلى نفوسهم
- العلم بالمحكمات أساس في قضية الموازنة إذا تزاحمت المفاسد والمصالح

*__وبكلمة__: إن المحكمات هي قلب الهوية الإسلامية وحمايتها وحدودها التي متى اعتنى المسلم بها علما وعملا ظاهرا وباطنا = كان ما بعدها أيسرَ منها

ومتى قصّر فيها علما أو عملا =سهُل عليه التفريط بما دونها

مصدر العلم بمحكمات الشريعة

القرآن الكريم والسنة النبوية وما أجمع عليه الصحابة

وأعظمُ مُحكماتِ الشريعة

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ»، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قَالَ: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ»، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك...)) ثم قال : هذا جبريلُ أتاكم يُعلمُكم دينَكم».

فيجب العناية بها علما وعملا ودعوة

فاجعل العلم بالمحكمات الاستقامة عليها والدعوة غليها وتنشئة ابنائك عليها قضيتك الأولى

- العلمُ بالشيء وحسنُ تصوره وصحةُ فهمه، ومعرفةُ أدلتِه هو المقدمةُ أساسية للتمسُّك به
- حتى تَعرفَ بِمَ تتمسَّكُ، ولماذا، وكيف.
- حتى لا تَكون مُجردَ شعارٍ يُرفعُ، أو كلامٍ يُقال، أو عصبيةٍ عمياءَ .
- حتى تعرفه من حُججه ما تطمئن به نفسك إليه
- حتى تُحسنَ تطبيقِه
- حتى تَصبرَ عليه
- حتى تحسنَ الدعوة إليه

حتى تعرف صورته النقية وصورته المغشوشة

- حتى تزن به ما حولك من مِللٍ، وأفكار، ومقالاتٍ، ومذاهب، وجماعاتٍ، وأحزاب
- حتى تُنزل المسألة منزلتها من الشريعة فتعرفَ المتفَق عليه المجمع عليه، وتعرف المتنازَع فيه

وتعطي المسألة حقها فلا تُهَوِّنُ العظيمَ وتُفرِّط فيه ولا تُعظّم الهيِّن فتُوالي وتُعادي عليه

(١١) عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ ، فَتَعَلَّمْنَا الإِيْمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا».

حديث هرقل في جملة ما وجهه من أسئلة لأبي سفيان عن ذلك النبي الجديد عن نسبه وخلقه ودعوته وشرعه ومنها عن أتباعه «فَهَلْ يَرْتَدُّ أحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ؛ فقال هرقل تعليقا عليها وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لاَ، وَكَذَلِكَ الإيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوب»

من دلائل صدق الايمان وصدق ذلك النبي الذي علمهم الإيمان

مع ما كانوا فيه من قلة واستضعاف وبلاء وتشريع يخالف أهواءهم وتحالف الكفار والمشركين وأهل الكتاب وما يثيرونه من شبهات وافتراءات على رسول الإسلام وكتابه وشرعه

ذلك الإيمان إذا خاطت بشاشته القلوب

لأنه علمهم الإيمان قبل القرآن

وعن عائشة: «إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذَا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ والحَرَامُ، ولو نَزَلَ أوَّلَ شيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أبَدًا»

علّمهم ما تتهيَّأُ به نفوسهم وتُشفى قلوبهم لتلقي القرآن والانتفاع به فالبلد الطيبُ يخرج نباته بإذن ربِّه والذي خبُث لا يخرج إلا نكِدا

ماذا علّمهم:

- ✓ علمهم عن الله وعلمه ورحمته وحكمته وعدله وقدره، عن اليوم الآخر عن الإيمان معناه وتفاصيله مقتضياته
- ✓ علمهم قصص الأنبياء والصالحين ودعوتهم وصبرهم وعاقبتهم
- ✓ علمهم الإيمان و أعماله وشعبه
- ✓ فكانوا بقصص القرآن وأخباره معتبرين
- ✓ فكانوا على يقين وهدى
- ✓ للأخبار مصدقين
- ✓ وللشرع مستجيبين

وفي الحديث: «لَمَّا نَزَلَتْ علَى رَسولِ اللهِ ﷺ: ﴿لِلَّهِ ما فى السَّماواتِ وما فى الأَرْضِ وإنْ تُبْدُوا ما فى أنْفُسِكُمْ أوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ به اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ واللَّهُ علَى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قالَ: فاشْتَدَّ ذلكَ علَى أصْحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فأتَوْا رَسولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا علَى الرُّكَبِ، فقالوا: أيْ رَسولَ اللهِ، كُلِّفْنا مِنَ الأعْمالِ ما نُطِيقُ، الصَّلاةَ والصِّيامَ والْجِهادَ والصَّدَقَةَ، وقدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِه الآيَةُ ولا نُطِيقُها، قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أتُرِيدُونَ أنْ تَقُولوا كما

قالَ أهْلُ الكِتابَيْنِ مِن قَبْلِكُمْ سَمِعْنا وعَصَيْنا؟ بَلْ قُولوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ، قالوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وإلَيْكَ المَصِيرُ»

وعلى البلاء صابرين ولحكمة الله وقدره مسلمين (هذا ما وعدنا الله ورسوله..من المؤمنين رجال)

فكان للقرآن عليهم سلطانٌ، أيةٌ واحدةٌ كافية بأن يتخذ بها قرارا مصيريا لا يفكر في تبعاته، ويهونُ عليه في سبيل الله كل غال، وذلك في ذات الإله

وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق على مِسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره فلما أنزل الله براءةُ عائشة رضي الله عنها كان مسطحٌ ممن تكلّم فيها بلا علم قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٢) سورة النور.

قال أبوبكر: (بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً) رواه البخاري.

عمر:

لما قال عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ لعُمر رضي الله عنه فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: «هِي يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَواللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ –رضي الله عنه– حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الحُرُّ بن قيسٍ: يَا أَميرَ المُؤْمنينَ، إنَّ اللهَ تَعالَى قَالَ لِنَبيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وَإنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، واللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا، وكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى». رواه البخاري... **كان وقّافا عند كتاب الله ما أجملها ما أعظمها.**

قالت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) : شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا» رواه البخاري (٤٤٨٠).

إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ، يَقُولُ: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ»

وعن أنس لما نزلت عن أنس ﷺ قال: «كنتُ أسقي أبا عُبيدة وأبا طَلحة وأُبيَّ بن كعب مِن فَضيخ زهر وتمْر، فجاءهم آتٍ فقال: إن الخمر قد حُرِّمتْ يعني قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ، فقال أبو طلحة: قم يا أنس فأَهرِقها، فأهرَقتُها».

إنه الحكمة التي يملك بها العاقل نفسه فتمنعه من فعل

عمير: روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ، قال: «انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: "لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه"، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض"، قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري ﷺ: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: "نعم"، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ: "ما يحملك على قول بخ بخ؟!"، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: "فإنك من أهلها"، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة! فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل»

ثابت بن قيس:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢] - جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: "أنا من أهل النار". واحْتَبَس عن النبي ﷺ فسأل النبي ﷺسعدَ بن معاذ فقال: ((يا أبا عمرو، ما شأن ثابت، أَشتكى؟!))؛ قال سعد: إنه لجَاري، وما علمت له بشكوى. قال: فأتاه سعدٌ، فذكر له قول رسول الله ﷺفقال ثابت: أُنْزِلَتْ هذه الآية، ولقد علمتم أنِّي من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار. فذَكَرَ ذلك سعدٌ للنبيِّ ﷺفقال رسول الله ﷺ: ((بل هو من أهل الجنة))؛ رواه البخاري ومسلم.

فالجزاء من جنس العمل: خاف الله في الدنيا خوفًا أقعده عن الخروج من بيته؛ فجازاه الله بالأمن من هذا الخوف في الدنيا قبل الآخِرة؛ فهو ممَّن يُقطَع بأنه من أهل الجنة.

مسؤولية حمل القرآن

كتابُ الله يبعث في قلب حامله الروح التي تجعله حقيقًا به دليلا عليه بقوله وعمله

سالمٌ مولى أبي حذيفة أحد الأربعة الذين أمر النبي أن يؤخَذ عنهم القرآن في معركة اليمامة كان واحدا من أبطالها وحملَة لواء المسلمين فيها.

ولما أخذ الراية يوم اليمامة بعد مقتل زيد بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين، قال له المهاجرون: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حاملُ القرآن أنا إذا) (البداية والنهاية ٦/٣٣٧).

إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا.

وانظر في المقابل

من لم يتعلموا الإيمان وضعف يقينهم فهم في ريبهم يترددون يعبدون الله على حرف ..فإذا أوذي في الله ..

عند الأخبار في شك وريب

عند التشريع كسل وتردد وشعور بالحرمان والظلم

فنفوسهم مهيّأةٌ لقبول الفتنة

تأمّل هذا المعنى ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ (١٤)

وقوله: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ يقول: ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ من أقطارها، يعني: من جوانبها ونواحيها،

وقوله: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ﴾ يقول: ثم سئلوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك ﴿لآتَوْها﴾ يقول: لفعلوا ورجعوا عن الإسلام وأشركوا. وقوله: ﴿وَما تَلَبَّثُوا بها إلا يَسِيرًا﴾ يقول: وما احتبسوا عن إجابتهم إلى الشرك إلا يسيرا قليلا ولأسرعوا إلى ذلك.

أسرعوا

ولقد كانوا عاهدوا الله ..

ليس كالرجال الصادقين

عند الفتنة بنعمة أو مصيبة لا يصبرون

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

رجل كان يُجاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وكان قويّا، لكنه حينما جُرح في المعركة لم يصبر على المصيبة فقتل نفسه

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وكثير من الناس هكذا يكون مستقيما على الطاعة فإذا ابتلي بمصيبة لم يصبر عليها وربما يترك دينه كلّه ويكفر كما يحصل مع كثير من الشباب هذه الأيام، عند أي مشكلة وأو مصيبة فإن أول ما يُفكر فيه أن يترك دينه ويُلحد

رجل كان مع الصحابة وقرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد كافرا وصار يسب النبي صلى الله عليه وسلم فقصمه الله ولفظته الأرض

رجل ترك دينه لأنه أحب امرأة كافرة واشترطت عليه ان يكفر لتتزوجه فكفر بالله

وقال الإمام ابن كثير في (البداية والنهاية) في أحداث سنة ٢٧٩: ((وفيها توفي عبدة بن عبد الرحيم ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيراً في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرو بلدةٍ من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت: أن تتنصّر

وتصعد إلي فأجابها إلى ذلك ! فرآه المسلمون عند المرأة الكافرة ، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غماً شديداً، وشقّ عليهم مشقة عظيمة فلمّا كان بعد مدة مرّوا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن فقالوا: يلا فلان! ما فعل قرآنُك؟ ما فعل علمُك؟ ما فعل صيامُك؟ ما فعل جهادُك؟ ما فعلت صلاتُك؟ !!!

فقال: اعلموا أني أنسيت القرآن كله إلا قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ* ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)) وقد صار لى فيهم مال وولد﴾.

فهذا مختصر حال الفريقين في التلقي والعمل

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾

ولا يُضل اللهُ عبدا إلا بسبب من ذلك العبد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

والعبدُ بأعماله يُيَسّرُ لليُسرى أو للعُسرى: قال النبي ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا» رواه مسلمٌ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾.

وحجر الأساس لذلك كله: الإيمان:

لأجل ذلك كانت هذه المقدمات قبل الحديث عن تعلم القرآن:

- ✓ فهي مفتاحُ كلِّ ما بعدها، هي أساسُ القصة قصةَ الوحي ومنه القرآن.
- ✓ وبدون هذه المقدمات يظن أن القرآن كتاب يقرأ ويحفظ وتضييع أعظم مقاصده.
- ✓ ولأن الإنسان لا يطلب ما يجهلُ، ولا يحرصُ إلا على ما يعلم قيمته، ولا يصبر إلا على ما يحقق الخيرَ له، ولا يداوم على شيء إلا بقدر يقينه به
- ✓ لينتفع بالقرآن وليكون له هدى وشفاء ورحمة

الجهل بالمُحكمات:

ومشكلة كثير من المسلمين أنه ورث الإسلام دون علم بالأساس والقواعد والمقدمات والمحكمات فلذلك يسهل عليه التشكيك فيه وترك الاعتصام به

- لماذا يعترض كثير من أطفال المسلمين وشبابهم وكبارهم على بعض أحكام الله ، ويردون خبره ويكسلون عن الاستجابة لأمره

- لماذا يكفر كثير منهم أو يكره ربه بسبب وجود شر أو مصائب يرونها مخالفة لمقتضى العدل والرحمة والحكمة

لماذا يصغون لما يثار من شبهات واشكالات واعتراضات على الإسلام وربه وكتابه ورسوله/

عامَّةُ الشبهات المثارة على الإسلام وشرائعه ورسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته = هواءٌ

والأجوبة عنها سهلةٌ ومتنوعة

عامّة من يُثيرون تلك الشبهات الباهتة جُهّال جدا بعلوم الشريعة واللغة وغيرها...

ويتلقى شباب المسلمين مثل تلك الشبهات الباهتة بانبهار !!

ليست المشكلة أبدا في قوة الشبهة، المشكلة في ضحالة وجهل المتلقي، لكن الإشكالية ليست في قوة الشبهة بل في ضعف المتلقي، ذلك المسلم الذي يعيش عمره مُفرّطا في دينه علما وعملا

ثم أذا قرّر الالتفات إلى أمر دينه قصدَ طريق الشبهات والإشكالات والجدل والمناظرات والخصومات= فنبتَ لحمُ دِينه من ذلك الخليط الذي غايتُه أن يكون دواءً قد يَحتاج إليه

لا أن يكون غِذاءً يعيشُ عليه، فمُحكمات الشريعة هي الغذاء، ورد الشبهات وحل الإشكالات هو الدواء والضلال أن تضع أحدهما مكان الآخر..

قال بعض أهل العلم: ((فعامةُ الناس إذا: أسلموا بعد كفر، أو وُلدوا على الإسلام، والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله = فهم مسلمون، ومعهم إيمان مجمل ولكنّ دخولَّ حقيقة الإيمان إلى قلوبهم إنما يحصل شيئا فشيئا -إن أعطاهم الله ذلك - وإلا فكثير من الناس: لا يَصلون لا إلى اليقين، ولا إلى الجهاد، ولو شُككوا لشكوا، ولو أُمروا بالجهاد لما جاهدوا، وليسوا كفارا ولا منافقين، بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه على الأهل والمال، #وهؤلاء إن عُوفوا من المحنة وماتوا= دخلوا الجنة وإن ابتُلوا بمن يُورد عليهم شبهات توجب رَيبهم، فإن لم يُنعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مُرتابين، وانتقلوا إلى نوع من النفاق..)).

(١٢) لماذا سورة يونس؟

إحدى أعظم سور القرآن التي تستطيع من خلالها تعليم الناس الإيمانَ بالله وبراهين الحق

وفيها الحديث عن مُحكمات الإسلام: محامد الله ورسالته، ورُسله، وآيات النبوة، والوحي ومقاصده، والبعث والحساب والجزاء، والإنسان وصفاته وأحواله، وقصص الأنبياء، وسُبل المناظرة، ودفع الباطل.. وسُنن الله، والترغيب والترهيب والوعد والوعيد.

سورة يونس عليه السلام: هذه السورة بحقٍ هي جوهر المسائل الكبار (الله - المبدأ - الغاية-النبوات-آيات الأنبياء-الوحي-المصير-الجزاء)

(١٣) لماذا تعلُّم قضايا الإيمان من القرآن؟

تعليمُ الأطفالِ [وعموم المسلمين] الإيمانَ وإخلاصَ العبادة لله تعالى وأعمال القلوب والأخلاق وتزكية النفس، وبيان الباطل والكفر والفسوق والعصيان وسبيل المجرمين وغير ذلك:

من خلال القرآن وقصصه وحديث النبي ﷺ أصحّ وأعظم وأجلّ وأنفع وأبْرك من تعليمهم ذلك من خلال كتب مثل متن: الأصول الثلاثة والقواعد الأربع وكشف الشبهات والتوحيد والطحاوية نحوها.

والربط المباشر للأطفال [ولعامّة المسلمين] بالآيات والقصص من الوحي وفهمها واستخراج الفوائد والعِبَر ومحاولة إنزال ذلك على حياتهم اليومية = **كل ذلك عظيم الأثر وأنفع لهم**.

وإني لأتعجّب غاية العجب من مُقررات في معاهد وكُتّاب لسِنّ أربع سنوات تدرّس لهم هذه الكتب (أو مضامينَها وألفاظها) بتفاصيلها بل بإشكالاتها، وتُلزم الطلاب بحفظها ويشددون عليهم في ذلك.

وتجعل معيار تقييم التلاميذ هو مدي حفظه وترديده لعبارات ومصطلحات كثيرٌ منها مُجملة ومحدَثة لا يفهمها، بل مُعلِّمُه نفسُه لا يفهم كثيرا منها!

ويغفلون عن التدريس والتعليم والتربية من خلال قصص الوحي؛ ولا مجال للمقارنة بين الطريقتين في التربية والتعليم .

أقولُ ذلك عن تجارب واقعية كثيرة.

(١٤) موضوعات السور المكيّة ومقاصدها الخاصة:

سنعرف ذلك من خلال نفس سورة يونس ولا شك سيتضمن المسائل الكبرى والمحكمات وبراهينها أكثر من التفاصيل

- الله (علمه حكمته وخلقه وقدره وأمره)
- بدء الخلق ..
- الإنسان صفاته وأحواله.
- الرسل ..
- الوحي براهين النبوة ..
- القرآن ومقاصده والأمر باتباعه والصبر
- إخلاص الدين لله واتباع المرسلين
- وما كان عليه المشركون وصور الشرك والجاهلية وإعراضهم واستكبارهم
- والتذكير بالقصص
- وسنن الله في الأمم
- والمصير والبعث والجزاء والحساب والجنة والنار
- مع وصايا عامة للرسول وأتباعه بالتمسك بالوحي والصبر عليه والقيام بواجب البلاغ والبيان وبيان أنه مبلغ ليس عليه هدايتهم ولا يملك ذلك وأن المهتدي لنفسه والضال عليها وهو غير مسيطر عليهم ولا حفيظ
- ونفس موضوعات ومقاصد سورة يونس هي جامعة لمقاصد وموضوعات القرآن المكي لأنها تؤسس لما بعدها من تشريع وتُهيِّأ النفس للأحكام قبولا وعملا .

(١٥) أسلوب الحلقات:

- قراءة الآيات.
- بيان معاني الألفاظ.
- والمعنى العام لها.
- وسبب النزول إن وُجد.
- وذكر الخلاف وسببه إن وُجد.
- ثم التركيز على أحد مسائل الإيمان وذكر قواعده وفروعه بشيء من الإسهاب مع تصوير المسألة وبراهينها دون ذكر إشكالات أو شبهات إلا عند الحاجة
- لأن أحد مقاصد الحلقات: تعليم مُحكمات الإيمان، وتوزيع مسائل الإيمان على أليق موضع لها من السورة

(١٦) أهداف الحلقات:

- تعليم الإيمان وأبوابه وشعبُه من خلال القرآن.
- التدريب على تدبّر القرآن.
- الحث على الانتفاع منه والاستقامة عليه.
- بيان معاني القرآن وشيء من علومه.
- ربط الأسرة بالقرآن واستخراج معاني الهدى منه.

(١٧) المُخاطب بهذه الحلقات:

كل مسلم: الأطفال والشباب والوالدين وكبار السن

(١٨) كيفية التفاعل معها:

لكي تحقق لك أكبر ثمرة إن شاء الله لابد من التركيز وتقييد المعلومات، ومراجعتها، ومدارستها مع أفراد الأسرة، وإرسال أي إشكال يقف أمامك ونشر ما تعلمتَه بين أصدقائك وأبنائك

وسأجتهد في أن أكتب كل حلقة ليسهل عليك الرجوع إليها وضبطها لتكون في آخر الحلقات ككتاب معك لأهم مسائل الإيمان إن شاء الله.